الدرُّ المنظوم في معجزات الإمام المعصوم

موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الدكتور أكسم فياض
الجمهورية العربية السورية
مديرية تربية اللاذقية و جامعة تشرين
akssamfayad7@gmail.com

The threaded pearl beads of the miracles of infallible Imam al-Masum Musa Bin Jafar al- Kazim (pbuh)

Dr. Axam Fayyad
Syrian Arab Republic
Lattakia Directorate of Education and Tishreen University

الملخص:

تعدُّ سيرُ الأنبياء وكراماتهم مرجعاً غنياً يمدُّنا بأرقى القصص التي تفسّر الخلقَ والأكوان، وتعطي العبرة للناس جميعاً على امتداد عصور الحضارة الإنسانية من عهد آدم عليه السلام إلى سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله، ليتابع الأئمة من نسل فاطمة عليها السلام الدورَ المقدّسَ مقدّمين أبلغَ الحجج في القول والفعل لصيانة تعاليم الوحي والحفاظ على بيضة الإسلام، وكان لكلٍّ منهم مهمة نورانية كبرى أنيطت به تميّزت في معاجزها ومُثلها المتفرّدة التي تقدّم العبرَ والدروس للناس جميعاً، متحمّلين أقسى أنواع الظلم في سبيل حفظ الوديعة الإلهية لمقامي النبوة والإمامة.

وقد اختار بحثنا دراسةَ جزءٍ من المعجزات من سيرة الإمام موسى بن جعفر "الكاظم" عليه السلام بوصفها إحدى المرتكزات الأساسية لسلّم البناء العقائدي والفكري والسياسي والاجتماعي الذي أقرّه الإسلام منهجاً لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك، والسير قدُماً باتجاه حركة التكامل الإنساني المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع. ذلك أنّ ما خُصّ به الأئمة من فضلٍ عظيم ومكانةٍ متميزة في تاريخ الإسلام، يدفعنا نحو استجلاء معالم تلك السيرة العطرة، والتي تحدّد الرؤية الأسلم والصيغة الأكمل لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه وعلى المستويات كافةً. وقد حاولنا وضع مقاربة تحدّد جوانب الدراسة على وفق الآتي:

يبدأ البحث بمقدمة تبين اصطفاء الله سبحانه وتعالى للأنبياء والأئمة عليهم السلام، ثم ينتقل للتعريف بالمعجزة لغة واصطلاحا، ثم ينتقل للتعريف بالإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وتتبُّع بلاغاته ومعاجزه منذ طفولته إلى أنْ انتقلت إليه ودائع نور الإمامة في ذلك الزمن المضطرب ليظهر اطلاعه على الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل، وتطويعه صور الضواري لإفحام السحرة والحكام الظالمين محاكاة لمعجزات الأنبياء، وحجّة للناس وإعلاء لكلمة الله في آل البيت عليهم السلام، وتثبيتاً لأركان العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين.

الكلمات المفتاحية: موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، آل البيت عليهم السلام، المعجزة، السحرة.

Abstract:-

The biographies of the prophets and their dignities are a rich reference that provides us with the finest stories, that explain the creation and the universes, and give lessons to all people throughout the ages of human civilization from the era of Adam, peace be upon him, to our master Mohammad. Revelation and preservation of Islam. Each of them had a major enlightening task entrusted to him, which was distinguished in its unique miracles and ideals that present lessons and lessons to all people, enduring the most severe types of injustice in order to preserve the divine deposit of the tenets of prophethood and Imamate.

Our research chose the study part of the miracles from the biography of Imam Musa Bin Jafar al- Kazim (pbuh), as one of the basic pillars of the ideological, intellectual, political and social structure adopted by Islam as an approach to correct the belief and regulate behavior, and move forward in the direction of the movement of human integration required at the level of individual and society.

This is because the great merit and privileged position of the imams in history of Islam, pushes us towards elucidating the features of this fragrant biography, which defines the most peaceful vision and the most complete formula for understanding Islam and embodying it with its origins, pillars, and branches at all levels. We have tried to develop an approach that defines the aspects of the study according to the following:

The research begins with an introduction that shows God Almighty's selection of the prophets and imams (pbuh),then moves to define the miracles in language and idiomatically, then proceeds to define Imam Musa bin Jafar al-Kazim (pbuh), and traces his rhetoric and miracles from his childhood until deposits of his light of imamate were transferred to him in that turbulent time to show his knowledge of the unseen in the past, present and future, and his adaptation of the images of predators to inculcate magicians and oppressive rulers imitating the miracles of the Prophets, as a pilgrimage to people and elevating the word of God in Ahl AL-Bayt, peace be upon them, and confirming the pillars of the Islamic faith in the hearts of Muslims.

Keywords: Musa Bin Jafar al - Kazim (pbuh), Ahl AL-Bayt (pbuh), Miracle, Magicians.

المقدمـة:

استخلص الله سبحانه وتعالى صنفاً من عباده المخلصين، لهم ملكات وكمالات وميزات يختلفون بها عن بقية البشر، وهؤلاء صنف من بني آدم عليهم السلام اختارهم الله تعالى ليكونوا حمَلَة رسالته إلى بني الإنسان، وصرَّح تبارك وتعالى في اصطفائهم واختيارهم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران الآية٣٣، وأودع سبحانه وتعالى فيهم من أسرار الملكوت والمعاجز ما يؤيدون به المهام الموكلة إليهم في تسيير الكون على وفق السنن الربانية التي تتحقق فيها المشيئة وعداً إلهيّاً لا حياد عنه بين عالم الأنوار في الذرِّ الأعلى وبين عالم الصورة الأرضيِّ، وهكذا كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام موكلين بدور الهداية والتبليغ عبر العصور والأزمان، من عهد آدم عليه السلام إلى سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله، ليتابع الأئمة من نسل فاطمة عليها السلام الدورَ المقدَّسَ مقدِّمين أبلغَ الحجج في القول والفعل لصيانة تعاليم الوحي والحفاظ على بيضة الإسلام، وكان لكلٍ منهم مهمة نورانية كبرى أنيطت به تميَّزت في معاجزها ومُثُلِها المتفرِّدة التي تقدِّم العبرَ والدروس للناس جميعاً، متحمِّلين أقسى أنواع الظلم في سبيل حفظ الوديعة الإلهية لمقامي النبوة والإمامة.

انتقلت ودائع الحكمة النورانية من إمامٍ إلى إمام لتصلَ إلى إمامنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، الذي فاض إليه العلم النوراني منذ أنْ كان طفلاً صغيراً، فتحفلُ سيرته المشرِّفة بأرقى البلاغات الفقهية والمعاجز المرتبطة بعوالم الغيب والشهادة، ومنها ما يحاكي معاجز الأنبياء في قوتها وإفحامها للأضداد والمخالفين، فيسجِّلها التاريخ بوصفها من الوقائع المهمة التي شكَّلت منعطفات مصيرية في مسارات التاريخ الإسلامي تعزِّز مسؤولية الإمام عليه السلام عبر ولايته التكوينية والتشريعية في قيادة الأمة والعالم بأسره، إذْ مُنِحَ الرؤية الواضحة والوعي الأعمق في المعرفة يقيناً وفي الإيمان رسوخاً.

وقد اختار بحثنا دراسةَ جزءٍ من سيرة الإمام موسى بن جعفر "الكاظم" عليه السلام بوصفها إحدى المرتكزات الأساسية لسلّم البناء العقائدي والفكري والسياسي والاجتماعي الذي أقرَّه الإسلام منهجاً لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك، والسير قدُماً باتجاه حركة التكامل الإنساني المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع. ذلك أنّ ما خُصَّ به الأئمة من فضلٍ عظيمٍ ومكانةٍ متميزة في تاريخ الإسلام، يدفعنا نحو استجلاء معالم تلك السيرة العطرة، والتي

تحدّد الرؤية الأسلم والصيغة الأكمل لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه وعلى المستويات كافةً.

فما المعجزة في اللغة والاصطلاح وما ضرورتها للمجتمع وأهميتها؟ وماخصوصية الدور المقدَّس للإمام موسى الكاظم عليه السلام؟ وما هي المواقف التي ظهرت فيها معجزاته عليه السلام؟

أولاً: المعجزة (تعريفها وأهميتها):

المعجزة أعظم دلائل النبوة إذْ إنها تخرق العادات، وتتجاوز نواميس الكون وسننه، ويعجز عن فعلها سائر الناس، فما تعريف المعجزة؟ وما هي أهمية المعجزة وأنواعها؟

- المعجزة في اللغة والاصطلاح:

المعجزة من الجذر الثلاثي (عجز)، جاء في لسان العرب: المعجزة في اللغة تأتي من الفعل أعجز وعجز وهو عدم القدرة، أو الضعف عن فعل الشيء، ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصَّر عنه[١]، والمعنى ذاته في معجم العين: (أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز نقيض الحزم وعجز يعجز عجزاً فهو عاجز ضعيف)[٢]. وجاء في مقاييس اللغة: (عجز: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان أحدهما يدلُّ على الضعف، والآخر يدلُّ على مؤخر الشيء، فالأوَّل عَجِزَ عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف، وقولهم: إنَّ العجز نقيض الحزم فمن هذا لأنه يضعف رأيه، ويقولون: المرء يعجز لا محالة، ويقال: أعجزني فلان: إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وأمَّا الأصل الآخر فالعَجْزُ مؤخر الشيء والجمع أعجاز، حتى إنَّهم يقولون عجْز الأمر وأعجاز الأمر)[٣]، كما جاء في القاموس المحيط: (وأعجزه الشيء فاته، وفلاناً وجده عاجزاً، وصيَّرهُ عاجزاً، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز، ومعجزة النبي صلى الله عليه وآله: ما أعجز به الخصم عند التحدي)[٤]. وجاءت في القرآن الكريم بالمعنى ذاته في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ (سورة سبأ، الآية٥)، قال الزجاج: معناه ظانّين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنُّوا أنهم لا يبعثون، وأنه لا جنة ولا نار، وقيل معناها معاندين، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ سورة التوبة الآية٢؛ ونجد في القرآن الكريم توظيف كلمة "آية" للدلالة على المعجزة، ومثالُها قوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ

جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة آل عمران الآية٤٩، فكان إرساله لأنبيائه بالآيات المعجزات، فللنبيّ عيسى المسيح عليه السلام خَلْقُ الطير من الطين وشفاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ومعرفة الغيب... وغير ذلك من المعجزات التي تخرق النواميس والسنن الكونية ليتسنى له إقناع الخلْق بطريقة لا يستطيعون معارضتها، ولا يمكنهم ردها. وقد وصف السيد المسيح عليه السلام المعجزات الإلهيَّة بالقوات أو العجائب قائلًا: ﴿ وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطن إلى الهاوية. لأنه لو صُنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم ﴾ (مت ١١: ٢٣) ﴿ حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب ﴾ (مت ١١: ٢٠)، وقال عن الذين يصنعون المعجزات باسمه ويرتدون: ﴿ كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ﴾ (مت ٧: ٢٢).

المعجز في العرف: (ما له حظ في الدلالة على صدق من ظهر على يده)[٥]، وجاء في التعريفات للجرجاني (المعجزة أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادّعى أنّه رسول من الله)[٦]. وقد ورد في "موسوعة چمبرز" أنّ: (المعجزة في الكلام المسيحيّ تدلّ على تدخُّلٍ واضح للقدرة الإلهيّة يقضي على الأداء الاعتياديّ لتيّار الطبيعة، أو يوقفه مؤقّتًا أو يغيّره)[٧]، ويؤكد ذلك صاحب الإتقان في علوم القرآن، فيقول: (اعلم انَّ المعجزة أمرٌ خارق للعادة مقرونٌ بالتحدي سالم من المعارضة، وهي إما حسية أو عقلية)[٨].

ـ أنواع المعجزات[٩]:

أ – معجزات حسية: وهي التي تواجه الحسَّ البشري وداخلة في نطاق حواسه، ويظهر عجز الإنسان عن معارضتها، أي كانت تشاهد بالأبصار، مثل ناقة صالح، وعصا موسى عليه السلام، فتقيم للفكر دليلاً ملزماً، وهي كثيرة جداً، إذْ إنَّ أكثر معجزات الأنبياء إنْ لم تكن جلُّها، ولا سيَّما المعجزات التي واجهت بني إسرائيل كانت حسية...

وقليل من المعجزات كانت عقلية، وربما يراعى فيها ذكاء الأمة وفرط إفهامهم، وهذه المعجزات الحسية منها ما ثبت بطريق التواتر، ومنها ما يثبت بطريق الآحاد.

ب - معجزات عقلية: وهي المعجزات التي تجابه العقل بكل ما فيه من قوى الإدراك، وهي أنواع:

- النوع الأول وهو القرآن الكريم بوصفه المعجزة الأساسية الكبرى التي اعتمد عليها النبي صلى الله عليه وآله في إثبات رسالته وإعجاز قومه، وهو معجزة معنوية وعقلية باقية بقاء الليل والنهار، أو إلى أنْ يأتي أمر الله تعالى، والحكمة من بقائها دون سواها من معجزات الرسل أنَّ رسالة سائر الأنبياء قبله كانت مؤقتة لا يراها من جاء بعده، أما رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله فهي شاملة لجميع الناس، وباقية إلى يوم الدين.

- النوع الثاني صحة إخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلية... وهذا كثير جداً، والقرآن خير شاهد، ومنها إخباره بهزيمة الروم في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى الۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ الۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ الۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ اللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ الۡعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الروم الآية من ١إلى ٥، وقوله لعمار بن ياسر رضي الله عنه: ﴿ تقتلك الفئة الباغية ﴾[١٠]، والإسراء والمعراج، وغير ذلك الكثير.

- النوع الثالث إجابة دعاء الرسول محمد صلى الله عليه وآله: ومنها دعاؤه على من آذاه من قريش وقتلهم في معركة بدر، ودعاؤه بإنزال المطر... وغير ذلك الكثير من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وآله.

ـ أهمية المعجزة والحكمة منها:

تعدُّ المعجزة من الدلائل المهمة التي تُعزز بها نبوة الأنبياء، وتؤيد صدق دعواه وارتباطه بالله تعالى، وقد أظهر الأنبياء عليهم السلام إلى جانب ما أقاموه من الدلائل والبراهين على صدق دعواهم معاجزَ تؤكد صدق ادعائهم، ولا تدع مجالا للشك في حقانية نبوتهم، وقد زوَّد الله عزَّ وجلَّ أنبياءه بمعاجز كثيرة ذكر القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى بعضاً منها، وذكرت السيرة النبوية والأحاديث الشريفة عددا كبيراً منها.

إنَّ من حكمة الله سبحانه أنْ تكون المعجزة منسجمة مع أحوال الناس الذي ظهرت

فيهم، ذلك لأن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فإذا كانت غاية المعجزة أنْ يرى الناس فيها صدق الرسول وقيام الدليل على صحة دعواه، كان لا بدَّ أنْ تكون هذه المعجزة جارية مع تفكيرهم، ومع طبيعة بيئتهم، فعلى سبيل المثال كانت معجزة صالح عليه الصلاة والسلام الناقة، ذلك أنَّ ثمود وهي إحدى القبائل كانوا يعنون بشأن الإبل، ويعيشون في مكانٍ هم في أمس الحاجة فيه الى الماء، فكانت معجزته عليه الصلاة والسلام الناقة آية، لها شرب يوم ولهم شرب يوم معلوم.

ولعلَّ فهم قيمة المعجزة في زمننا الحاضر يحتاج إلى عمق المعالجة، (ويشير هذا المصطلح إلى مقدار الانتباه ومقدار الجهد الإدراكي اللذين يتم بذلهما حيث تحدث المعالجة العميقة عند الحد الأقصى من الانتباه النشط، ومع بذل أقصى قدر ممكن من الجهد الإدراكي)[١١]، فنحن عن طريق الربط الاسترادادي للأحداث نرى الماضي الذي حدثت فيه المعجزة في ضوء جديد تكتمل فيه رؤية أكثر وضوحاً للحاضر لتستحكم تفاعلات عميقة للحالة التعبدية مرسِّخة العقائد التي جاءت فيها المعجزات التي تُقيم الحُجّة على النّاس، فلولاها لكانت حُجّة النّاس بعدم الإيمان أنّهم لم يستطيعوا التثبّت من صدق دعوة النبيّ المختص بها، وهنا تُظهِر المعجزات أنّ الكون بكلّ ما فيه خاضع لله تعالى، فإذا أراد الله تعالى شيئاً كان على الصورة التي يريدها الله سبحانه وتعالى.

تحفِّزُ المعجزة الرؤية والنظر وتشدُّ الانتباه، فيتوجب أنْ يكون الإنسان واعيا للشيء "للفعل المعجِز" الذي يراه بشكل مركَّز يقتضي معالجة تفاعلية لا تترك مجالا للإنكار بأنَّه لم يرَ، وهنا تكون المسؤولية كبيرة على الأشخاص الذين تهيَّأ لهم حضور المعجزة، ليتمَّ نقلها كما هي من دون إضافات ينتجها خيال الأجيال القادمة أو سلسلة الرواة ضمن العصر الذي حدثت فيه المعجزة، ولذلك يكون الإدراك الواعي شرطاً أساسياً مطلوباً لتوثيق المعجزة أو الكرامة ونشرها في وفق غايات تعبُّدية خالصة وحجاجية ترسِّخ مفاهيم العقيدة، وتعزز ديمومتها بين الأجيال اللاحقة. إنَّ المعالجة العاطفية للمعجزة هي أوَّل – وليست آخر- ما نفعله في الواقع، (ويتبيَّن أنَّ المعالجة العاطفية هي وظيفة جزء غريزي في أدمغتنا يسبق التفكير الإدراكي بكثير، ولذلك يجب أنْ يعمل تلقائيا ولا شعوريّاً)[١٢]، بهدف يتوخَّى منْحَ الفعلِ المعجز قيمة إنسانية ومعنى وجدانيّاً واجتماعيّاً، ويندرج ردُّ الفعل نحو المعجزات

والكرامات في الأجيال اللاحقة فيما يسمى التعلُّم الترابطي، وتتمُّ محاكاة ردود الأفعال على وفق الحالة الإيمانية اليقينية وكأنها تحدث أمامهم.

ثانياً: قراءة في بعض معجزات الإمام موسى بن جعفر "الكاظم" عليه السلام:

ـ الإمامة مكانة عظيمة مؤيّدة بالحكمة الإلهية:

لقد (اقتضت الحكمة الإلهية أنْ تكون الشجرة النبوية صنفاً مفرداً ونوعاً واحداً واقعاً بين الإنسان وبين الملَك، ومشاركاً لكلٍّ واحدٍ منها على وجهٍ، فإنَّهم كالملائكة في اطِّلاعهم على ملكوت السموات والأرض، وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب... وجعل الله النبوَّة في ولد إبراهيم ومن قَبْله في نوح، كما نبَّه عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾ سورة الحديد الآية٢٦، وقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة آل عمران الأية٣٤، فهم عليهم السلام وإن كانوا من حيث الصور كالبشر فهم من حيث الأرواح كالمَلَك قد أُيِّدوا بقوةٍ روحانيَّة، وخُصُّوا بها، كما قال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ سورة البقرة الآية٨٧، وقال في محمد: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ سورة الشعراء الآية١٩٣ -١٩٤)[١٣]، وهؤلاء (قلوبهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله سبحانه، كما أنَّ الله ينبتُ لكلِّ محلٍّ إنباته الأرض أو الرحم، كما قال: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ سورة آل عمران٣٧)[١٤]، وهنا نبتت السيدة الزهراء عليها السلام منبتاً طاهراً وأمانة ربانية من عالم النور إلى عالم الصورة البشرية، ونبت الأئمة الأطهار من نسلها المقدَّس، لتنتقل ودائع النبوة والإمامة محملة بالحكمة النورانية من إمام إلى إمام لتصل إلى إمامنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، الذي فاض إليه العلم النوراني منذ أنْ كان طفلاً صغيراً، فتحفلُ سيرته المشرِّفة بأرقى البلاغات الفقهية والمعاجز المرتبطة بعوالم الغيب والشهادة.

ومما يدلُّ على أنَّ المعجزات تجري على الأئمة كما تجري على الأنبياء المقام العظيم الذي تتبوؤه الإمامة، فسننهم وأحكامهم تابعة ومنحدرة ومشتقَّة من سنن النبي صلى الله عليه وآله، وإمامةُ أئمة أهل البيت عليهم السلام هي من صميم أصول الدين الإيمانية)[١٥]، وقد أعطانا الله سبحانه وتعالى أسوة حسنة في سيرة الأنبياء السابقين ليدلَّنا على عظمة مقامي الإمامة والنبوة، وهذه

سيرة إبراهيم عليه السلام بعد أنْ أتمَّ الكلمات ونجح في الاختبار رفعه الله سبحانه وتعالى إلى مقام الإمامة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة ١٢٤. وانطلاقاً من أنَّ القرآن الكريم أعظم معجزات النبيِّ محمد صلى الله عليه وآله، وأنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وآله من خلال حديث الثقلين جعل التمسُّك بكتاب الله والعترة المقدسة لآل البيت عليهم السلام - مترابطين لا ينفصلان - طريق الهداية والنجاة، فيقول صلى الله عليه وآله: ﴿ أمَّا بعدُ ألا أيُّها الناس فإنَّما أنا بشرٌ يوشكُ أنْ يأتي رسول ربِّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوَّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثمَّ قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي... ﴾[١٦]، ولذلك يجب الدخول من باب التسليم الإيماني والنجاح في امتحان الولاية للإمامة والنبوَّة في شخص الأئمة المعصومين عليهم السلام، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء٧٣.

- من معجزات الإمام الكاظم عليه السلام:

شهدت المرحلة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام، اضطرابات سياسية ونزاعات اجتماعيّة وقبَلية اندفعت آثارها المفجعة إلى السطح بسرعة من خلال ظهور الأزمات والنكبات العلنيّة.. التي خطط لها ونظم حركتها زعماء نهج الملك العضوض ومن تابع مسيرتهم، وذلك بقصد صرف الأمّة عن مسيرتها الارتقائيّة الحضاريّة في التكامل الروحي والمفاهيمي الذي نظَّر له سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه الأئمة عليهم السلام من بعده، الفاهمون حيثيات العمق الواعي للإسلام الرسالي المنفتح الذي تجذَّر في الوعي المتقدِّم لآل البيت عليهم السلام؛ وقد أدّت الأفعال المشبوهة، ذات المنطق المصلحي العائلي الضيق المخالف لروح الإسلام الأصيل وقيمه، إلى ابتعاد الأمة الإسلامية عموماً عن ممارسة المنهج الواعي للإسلام... وإدخال المسلمين في متاهات الكفر والعصبيّة البغيضة، المعبّرة عن ميل انحداري شديد نحو كرسي الحكم وعرش الخلافة بوجهها الملكي السلطاني الوراثي.. حتّى لو كلّف ذلك الأمّة الإسلامية خسارة نهجها المشرق وطموحات رسالتها الإنسانيّة ومنظومتها الفكريّة والقيميّة.

لذلك كان دور الإمام الكاظم عليه السلام معزَّزاً بالمعجزات العظيمة التي تشكل الأساس المتين لبناء قاعدة إسلاميّة صلبة تحافظ على بيضة الإسلام في مستوى التبليغ وتصحيح العقيدة في كافّة الأرجاء والأنحاء، إذْ إنَّ الأحداث الكارثيّة في ذلك الوقت قد استنزفت الشيء الكثير من طاقات الأمّة ومواهبها وحرَّفت في صلب العقيدة ومنهاجها، وقد حاول العباسيون ثنيه عن أداء دوره المقدَّس وضيَّقوا عليه كثيراً، وتنقل الإمام الكاظم عليه السلام في السجون العباسيّة واحداً تلوّ الآخر، ولم يتركوه في سجن واحد، لقد كان الحكام يأمرون بنقله من سجن لآخر، وذلك لأنّهم عندما كانوا يضعونه في أحد السجون يرون بعد مضي فترة زمنيّة قصيرة أنَّ السجانين قد أصبحوا من عشّاقه ومحبّيه عليه السلام، يقبلون عليه، ويتباركون به، وقد بقي عليه السلام يمارس دوره الريادي، فكريّاً واجتماعيّاً في دعوته إلى التمسّك بثوابت الإسلام وهدي القرآن، حتّى آخر حياته الشريفة التي عانى فيها ما عاناه من عذاب السجن والتضييق والتنكيل.

تنوعت معجزات الإمام الكاظم عليه السلام وشملت مختلف أنواع المعجزات، ومنها:

أ - معجزات الإمام الكاظم عليه السلام العقلية (غزارة علمه عليه السلام):

كثيرة هي المواقف التي ظهرت فيها غزارة علوم الإمام الكاظم عليه السلام، ومنها حديثه مع أبي حنيفة، وعمره لا يزيد عن خمس سنين، وقد رواه (محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدثني... قال: إنَّ أبا حنيفة صار إلى باب أبي عبد الله عليه السلام ليسأله عن مسألة... فجلس ينتظر الإذن، فخرج أبو الحسن عليه السلام، وسنُّه خمس سنين، فدعاه، وقال: يا غلام، أين يضع المسافر خلاه في بلدكم هذا؟ فاستند أبو الحسن عليه السلام إلى الحائط، وقال: يا شيخ يتوقى شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ومنازل النزال، وأفنية المساجد، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ويتوارى خلف جدار، ويضعه حيث يشاء)[١٧]، ويتابع أبو حنيفة سؤاله، فيقول: (يا بن رسول الله ممن المعصية؟ فنظر إليَّ وقال: إنَّ المعصية لابدَّ أن تكون من العبد أو من ربه، أو منهما جميعاً، فإن كانت من الربِّ فهو أعدل وأنصف من أنْ يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإنْ كانت منهما جميعا فهو شريكه فالقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإنْ كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجه النهي، وله حق الثواب وعليه العقاب، ولذلك وجبت له الجنة والنار، فلما سمعت ذلك

قرأت ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة آل عمران الأية٣٤)[١٨]. فهو عليه السلام ومع صغر سنه نراه يجيب عن الأسئلة الصعبة التي يختص بها الكبار.

ومنها أيضاً (ما قال أبو بصير: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: بم يعرف الإمام؟ قال بخصال: أمَّا أولهنَّ: فإنَّه خُصَّ بشيء قد تقدَّم فيه من أبيه، وإشارته إليه ليكون حجَّة ويسأل فيجيب، وإذا سكت عنه ابتدأ بما في غد، ويكلِّم الناس بكلِّ لسان، ثم قال: أعطيك علامة قبل أن تقوم. فلم ألبث أنْ دخل عليه خراساني فكلَّمه بالعربية، فأجابه أبو الحسن عليه السلام بالفارسية. فقال الخراساني: ما منعني أن أكلِّمك بلساني إلا ظننت أنّك لا تحسنها. فقال: سبحان الله إذا كنت لا أحسن أجيبك، فما فضلي عليك، فبما أستحقُّ به الإمامة. ثم قال: إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا منطق الطير ولا كلام شيء فيه روح)[١٩]، وتؤكّد الأحداث اللاحقة ذلك حين حضر وفد من الحبشة إلى الإمام الكاظم عليه السلام: (روي عن ابن أبي حمزة، قال: كنا عند أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، إذ دخل عليه ثلاثون غلاماً مملوكاً من الحبشة، قد اشتروا له، فتكلم غلام منهم، وكان جميلاً بكلام، فأجابه موسى عليه السلام بلغته، فتعجَّب الغلام وتعجبوا، وظنُّوا أنَّه لا يفهم كلامهم. فقال له موسى عليه السلام: إني أدفع إليك مالا، فادفع إلى كل واحدٍ منهم ثلاثين درهماً. فخرجوا وبعضهم يقول لبعض: إنّه أفصح منا بلغتنا، وهذه نعمة من الله علينا. قال علي ابن أبي حمزة: فلما خرجوا، قلت يا بن رسول الله رأيتك تكلم الحبشيين بلغاتهم؟ قال نعم. وأمرت ذلك الغلام من بينهم بشيء دونهم... قال: فلا تعجب، فما خفي عليك من أمري أعجب وأعجب، "من كلامي إياهم" وما الذي سمعت مني إلا كطائر أخذ بمنقاره من البحر قطرة، أَفترى هذا الذي يأخذه بمنقاره ينقص من البحر؟)[٢٠] وكذلك معرفته عليه السلام بلغة أهل الصين وإقراره عليه السلام بوجود لغات متعددة لأهل الصين[٢١].

إنَّ معرفة الإمام الكاظم عليه السلام موسوعية تشمل جميع المعارف والعلوم، ومن ذلك رواية (هشام بن الحكم: قال موسى بن جعفر لأبرهة النصراني: كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا عالم به وبتأويله، قال: فابتدأ موسى عليه السلام يقرأ الإنجيل، فقال أبرهة: والمسيح لقد كان يقرؤها هكذا، وما قرأ هكذا إلّا المسيح، وأنا كنت أطلبه منذ خمسين سنة، فأسلم على يديه)[٢٢]. وتدل معرفة الإمام عليه السلام بلغات الأقوام المختلفة وإحاطته بلسانهم ومعرفته بلفظ

الإنجيل كما قرأه عيسى عليه السلام على فيض علمه الغزير وإحاطته الشاملة بالعلم اللَّدني الذي يربطه بعالم الغيب.

ب - معجزات الإمام الكاظم عليه السلام الحسية:

١- من باب القدرة:

من معجزاته عليه السلام تفرُّده بمقام الإمامة في عصره، ودفاعه عنها بالحجة الحسية والعقلية، وسنذكر حجته الحسية في هذا المقام، إذْ إنَّ الإشارة إلى معجزاته العقلية قد ناقشناها في موضع آخر، وتقول الرواية: (إنَّ هشام ابن الحكم قال: لَمَّا مضى أبو عبد الله عليه السلام، وادَّعى الإمامة عبد الله بن جعفر، وأنَّه أكبر ولده، دعاه موسى بن جعفر عليه السلام، وقال: يا أخي إنْ كنت صاحب هذا الأمر فهلمَّ يدك فأدخلها النار، وكان حفر حفرة وألقى فيها حطباً وضربها بنفط ونار، فلم يفعل عبد الله، وأدخل أبو الحسن عليه السلام يده في تلك النار، ولم يخرجها من النار إلا بعد احتراق الحطب وهو يمسحها)[٢٣]. وبذلك تحاكي معجزته عليه السلام معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام حين عُرِضَ على النار.

ومنها ما جرى مع الإمام عليه السلام والمسيَّب بن زهرة، (كان المسيَّب بن زهرة موكلاً بحراسة الإمام عليه السلام حيث نقل من حبس السندي إلى داره... وكان الرجل من دعاة الدولة العباسية الأشداء، فقد ولِّي شرطة بغداد أيام المنصور، والمهدي والرشيد، كما ولِّي خراسان أيام المهدي، وكان على جانب من الغلاظة والشدة، فكان أبو جعفر المنصور إذا أراد بأحد شرّاً بتسليمه إلى المسيَّب، ولما سجن الإمام عنده، أو وكّل بحبسه أثَّر عليه الإمام، وسيطر على مشاعره، فاهتدى إلى طريق الحق والصواب، وأصبح من الشيعة المخلصين ومن حملة أسرار الأئمة عليهم السلام، وقد استدعاه الإمام قبيل وفاته بثلاثة أيام، فلما مثل عنده قال له: يا مسيَّب. قال المسيَّب: لبيك يا مولاي. قال الإمام عليه السلام: إنّي ظاعن الليلة إلى المدينة مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأعهد إلى ابني ما عهده إليَّ آبائي، وأجعله وصيِّي وخليفتي، وآمره بأمري. فأجاب المسيَّب: يا مولاي، كيف تأمرني أن} أفتح لك الأبواب وأقفالها والحرس معي على الأبواب؟ فقال الإمام عليه السلام: يا مسيَّب ضعف يقينك في الله عزَّ وجلَّ فينا؟ فأجاب المسيَّب: لا، لا يا سيِّدي ادع الله أنْ يثبتني. قال الإمام عليه السلام: اللهم ثبِّته، ثمَّ قال: ادعوا الله عزَّ وجل باسمه العظيم الذي دعا به آصف حين جاء بسرير بلقيس، فوضعه بين يدي

سليمان قبل ارتداد طرفه إليه حتى يجمع بيني وبين علي ابني في المدينة. قال المسيَّب: فسمعته يدعو، ففقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدميَّ حتى رأيته قد عاد إلى مكانه، وأعاد الحديد إلى رجليه، فوقعت على وجهي ساجداً شاكراً الله على ما أنعم به عليَّ من معرفته، والتفت الإمام عليه السلام له، فقال يا مسيَّب ارفع رأسك، واعلم أني راحل إلى الله عزَّ وجلَّ في ثالث هذا اليوم... "لا تبك يا مسيَّب فإنَّ علياً ابني هو إمامك بعدي، فاستمسك بولايته، فإنك لن تضلَّ ما لزمته")[٢٤]، تدلُّ هذه المعجزة على مجموعة من القدرات التي امتلكها الإمام الكاظم، ومنها معرفته عليه السلام بدنو أجله، فرغب تسليم الأمانة النورانية للإمام المعصوم من بعده، فلم يترك الأمَّة من دون إمام معصوم، وهو ولده الإمام علي الرضا عليه السلام، كما تدلُّ من جانب آخر على القدرات العجائبية الخارقة، وهي قدرة الإمام عليه السلام على طيِّ الزمن والانتقال من مكان إلى مكان قبل أنْ يقوم المسيَّب من مكانه.

وثمة معجزة عظيمة تحاكي معجزة سيدنا موسى عليه السلام، (قال علي بن يقطين: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن عليه السلام ويخجله في المجلس، فانتدب له رجل مُعَزِّم، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً ((سحراً)) على الخبز، فكان كلما رام خادم أبي الحسن تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه! واستفزَّ هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن أنْ رفع رأسه إلى أسدٍ مصوَّر على بعض الستور، فقال له: يا أسد الله خذ عدو الله! قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترس ذلك المعزم! فخرَّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه! فلما أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارون لأبي الحسن: أسألك بحقي عليك لما سألت الصورة أنْ تردَّ الرجلَ. فقال: إنْ كانت عصا موسى ردَّت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيهم فإنَّ هذه الصورة تردُّ ما ابتلعته من هذا الرجل)[٢٥]. وفي رواية ثانية (أنَّ الرشيد أمَر حميد بن مهران الحاجب بالاستخفاف به عليه السلام، فقال له إنَّ القومَ قد افتتنوا بك بلا حجَّة، فأريد أنْ يأكلني هذان الأسدان المصوران على هذا المسند! فأشار عليه السلام إليهما، وقال: خذا عدو الله، فأخذاه وأكلاه! ثمَّ قالا: وما الأمر، أنأخذ الرشيد؟ قال: لا، عودا إلى مكانكما)[٢٦]. وبذلك يكون الإمام الكاظم عليه السلام قد امتلك من القدرات والمعاجز التي امتلكها الأنبياء، فأبطل سحر السحرة، وأظهر حجته ناصعة يقيناً أمام الملأ.

يضاف إلى ذلك كله أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام امتلك القدرة على الشفاء (وحكي أنه مُغص بعض الخلفاء فعجز بختيشوع النصراني عن دوائه، وأخذ جليداً فأذابه بدواء، ثمَّ أخذ ماء وعقده بدواء، وقال: هذا الطب، إلا أنْ يكون مستجاب دعاء ذا منزلة عند الله يدعو لك! فقال الخليفة: عليَّ بموسى بن جعفر، فأتيَ به فسمع في الطريق أنينه، فدعا الله سبحانه وزال مغص الخليفة، فقال له: بحق جدِّك المصطفى أنْ تقول بمَ دعوت لي؟ فقال عليه السلام: قلتُ: اللهمَّ كما أريته ذلَّ معصيته، فأره عزَّ طاعتي)[٢٧].

٢- من باب الكشف والعلم الغيبي: في الماضي والحاضر والمستقبل:

- معرفته الماضي:

معرفته عليه السلام للماضي القريب، ومنها (ما قال الأصبغ بن موسى: حملت دنانير إلى موسى بن جعفر عليه السلام، بعضها لي وبعضها لإخواني، فلما دخلت المدينة أخرجت الذي لأصحابي، فعددته فكان تسعةً وتسعين ديناراً، فأخرجت من عندي ديناراً وأتممتها مائة دينار، فدخلت عليه، فصببتها بين يديه، فأخذ ديناراً من بينها، ثمَّ قال: هاك دينارك، إنما بعثت إلينا وزناً لا عدداً)[٢٨].

- معرفته الحاضر:

(وقال هشام بن حاتم الأصم، قال لي أبو حاتم، قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسية، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أنْ يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه! فدنوت منه فلما رآني مقبلاً قال: يا شقيق "إِجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ"، ثم تركني ومضى! فقلت في نفسي: إنَّ هذا لأمرٌ عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلا عبدٌ صالح لألحقنه ولأسألنه أنْ يحالَّني، فأسرعت في أثره، فلم ألحقه، وغاب عن عيني!

فلما نزلنا واقصة إذْ به يصلّي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه واستحله، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلاً قال لي: يا شقيق

أتل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾. ثم تركني ومضى! فقلت: إنَّ هذا الفتى لمن الأبدال! لقد تكلم على سرِّي مرتين. فلما نزلنا زُبَالة إذا بالفتى قائمٌ على البئر وبيده رَكْوَةٌ يريد أنْ يستقي ماء، فسقطت الركوة من يده في البئر، وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق السماء، وسمعته يقول:

أنـــت ربِّـــي إنْ ظمئـــت إلى المـــاء وقُـــــــوتِي إذا أردت الطعامـــــــا

((إلهي وسيدي ما لي سواها فلا تعدمنيها))، قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده فأخذ الركوة وملأها ماء، فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثمَّ مال إلى كثيب رمل أبيض، فجعل يقبض بيده، ويطرحه في الركوة، ويحركه، ويشرب. فقلت في نفسي أتراه قد حول الرمل سويقاً، فأقبلت إليه، وسلمت عليه، فرد عليَّ السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك. فقال: ((يا شقيق لم تزل نعمه علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك)). ثمَّ ناولني الركوة، فشربت منها، فإذا هو سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألذَّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت، ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً! فدفعت إليه الركوة، ثمَّ غاب عن عيني)[٢٩].

ـ معرفة الإمام الكاظم عليه السلام المستقبل:

ويدخل هذا في معرفة الأقدار وهي كثيرة، منها (أنَّ إسحاق بن عمار قال: لما حبسَ هارون أبا الحسن موسى عليه السلام، دخل عليه أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبا حنيفة، فقال: أحدهما للآخر: نحن على أمرين إما أنْ نساويه، أو نشاكله. فجلسا بين يديه، فجاء رجل كان موكلا به من قبل السندي بن شاهك، فقال: إنَّ نوبتي قد انقضت وأنا عليَّ الانصراف، فإن كانت لك حاجة أمرتني حتى آتيك بها في الوقت الذي تلحقني النوبة؟ فقال عليه السلام له: ما لي حاجة. فلما أن خرج، قال عليه السلام لأبي يوسف ومحمد بن الحسن: ما أعجب أنْ يسألني أنْ أكلفه حاجة من حوائجي ليرجع، وهو ميت في هذه الليلة. قال: فغمز أبو يوسف محمد بن الحسن للقيام، فقاما، فقال أحدهما للآخر: إنَّا جئنا لنسأله عن الفرض والسنة، وهو الآن جاء بشيء آخر كأنه من علم الغيب، ثم بعثْنا برجل مع الرجل، فقالا: اذهب حتى تلزمه، وتنتظر ما يكون من أمره في هذه الليلة، وتأتينا بخبره من الغد. فمضى الرجل، فنام في مسجد عند باب داره، فلما أصبح سمع الواعية، ورأى الناس يدخلون

داره، فقال ما هذا؟ قالوا: "قد" مات فلان في هذه الليلة فجأة من غير علَّة. فانصرف الرجل إلى أبي يوسف ومحمد، وأخبرهما الخبر، فأتيا أبا الحسن عليه السلام، فقالا: قد علمنا أنَّك قد أدركت العلم في الحلال والحرام، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكّل بك أنه يموت في هذه الليلة؟ قال: من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله ص علي بن أبي طالب عليه السلام. فلما أورد عليهما هذا بقيا لا يحيران جواباً)[٣٠]، وهذه معجزة كبيرة من معجزات الإمام الكاظم عليه السلام تدلُّ على معرفته الأقدار والغيوب، وهي حجة كبيرة للمخالفين الذين أرادوا إحراج الإمام، فتيقنوا بأنفسهم مما قاله لهم.

ومن معجزاته عليه السلام أنه عرف تاريخ انتقاله إلى جوار ربه، وعرف أنَّ هارون سيرسل له طعاماً مسموما، وأوصى شيعته بانتظار الجنازة عند جسر بغداد في يوم معلوم، (قال محمد بن غياث... قال عليه السلام ليحيى: يا أبا علي، أنا ميت وإنما بقي من أجلي أسبوع... وروي أنَّه "أي هارون" بعث يحيى بن خالد إلى موسى بن جعفر عليه السلام بالرطب والريحان المسمومين، وفي رواية أنَّه سمَّه في ثلاثين رطبة، قال الراوي: ثم إنَّ السندي بن شاهك أحضر القضاة والعدول، وذلك قبل وفاة موسى بن جعفر عليه السلام بأيام وأخرجه إليهم، وقال الناس يقولون: إنَّ أبا الحسن موسى في ضنك وضرٍ، وها هو ذا لا علَّة به ولا مرض ولا ضرَّ، فالتفت إليه عليه السلام، فقال لهم: اشهدوا عليَّ أني مقتول بالسمِّ منذ ثلاثة أيام، اشهدوا أني صحيح الظاهر لكني مسموم، وسأحمرُّ في آخر هذا اليوم حمرة شديدة منكرة، وأصفرُّ غدا صفرة شديدة، وأبيضُّ بعد غد، وأمضي إلى رحمة الله ورضوانه... وقضى عليه السلام مسموما ببغداد في حبْسِ السندي بن شاهك في الخامس والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة)[٣١].

وبعد أنْ وارى الجثمان الطاهر للإمام الكاظم عليه السلام الثرى صار قبره الشريف مزاراً ومشهداً، وتوافد أولياؤه من الشيعة، وكذلك كبار علماء السنة وأئمة المذاهب، لزيارته والصلاة عنده والتوسل به الى الله تعالى، وعرف عليه السلام بعد وفاته باسم: باب الحوائج.

نتائج البحث:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نفصِّلها على وفق الآتي:

- تحدِّدُ المعجزات التي جرت على يد الإمام الكاظم عليه السلام معالم القيادة الإسلامية التي تتمثل زعامتها الحقة في مقام الإمامة، ويؤكد كذلك عظم حجيتها في أخطر شؤون

الدين والأمة.

- يرتبط استدعاء المعجزات التي حصلت مع بعض الأنبياء وتكرار حصولها على يد إمامنا الكاظم عليه السلام بالهندسة الاجتماعية المؤسسة لبنية العناصر المكونة للحضارة الإنسانية، بوصفها أكثر احتكاكاً بتفاعلات الغيب مع العالم البشري إذْ إنَّ الأئمة عليهم السلام صلة الوصل بين عالم الذرِّ النوراني وعالم المادة البشري منذ نزول التفاحة التي ناولها جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وآله من الجنة بصورة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.
- من فوائد جريان المعجزات على يد الأئمة عليهم السلام يصبح أتباع هذا الدين متشبعين بالارتباط الوجداني للفعل المعجز أو الكرامة يشعرون بها داخليا في سكينة روحية تنتظم فيها دقات قلوبهم، وتستقر انفعالاتهم، ويستعيدون التوازن في مجتمعات غلبت فيها المادة كل الدروب والتعاملات.
- نحن من خلال اختيار بعض النماذج من معجزات الإمام الكاظم عليه السلام والتحليلات التي تمت مناقشتها نحاول تقديم مقاربة ثقافية عقائدية لتفسير الواقع عموماً بناء على تحليل منهجي يبيِّن لنا أنَّ الرؤى الاعتقادية الصحيحة التي قام آل البيت عليهم السلام بنشرها أدَّت إلى بناء عقائدي شامخ مازال صرحه باقياً إلى يومنا هذا، وقد عزَّزته المعجزات في أفق الحقيقة والحجَّة مجلية لأنصع الشواهد توازناً ورحابة وسعة.
- الحكمة من المعجزات التي جرت علي يد الإمام الكاظم عليه السلام بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، وذلك أنَّ خرق العادة والقوانين الطبيعية أمر متعذَّر على الناس فعله، فإذا أجراه الله على يد الأئمة، كان ذلك دليلا على سعة قدرة الله، وأنَّه المتصرف في الأسباب الكونية لا أن الأسباب هي المتصرفة في الكون بيان رحمة الله بعباده، إذْ لم يكتف سبحانه بإرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية الموافقة لفطرة التوحيد، وإنما أيد رسله والأئمة من بعدهم بالمعجزات حتى لا يكون للناس عذر في رد ما جاء به الرسل والأئمة عليهم السلام من الحق والدين، وبيان حكمة الله البالغة؛ ليتسنى له إقناع الخلق بطريقة لا يستطيعون معارضتها، ولا يمكنهم ردّها إلا جحوداً وعناداً.
- إنَّ التمسك بأهل البيت عليهم السلام تمسك بالثقل الثاني بعد كتاب الله المجيد، والتمسك بهم

أيْ التمسك بإمامتهم وبأحاديثهم الشريفة وسيرتهم العطرة، فهي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، والمبيِّنة لمجملاته، ولا نكون متمسكين بهم عليهم السلام وبأحاديثهم إلا بأنْ نتخلَّق بأخلاقهم، ونُترْجِم أقوالَهم منهاجاً يؤسِّس لرؤية مستقبلية مستدامة على نهج النبوَّة والإمامة.

هوامش البحث

(١) - لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٣٧٠.

(٢) - العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي "ت١٧٥هـ"، دار ومكتبة الهلال، تحقيق د. مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي، ج١، ص٢١٥.

(٣) - معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا "ت ٣٩٥هـ"، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٠ه، ج٤، ص٢٣٢.

(٤) - القاموس المحيط، الفيروز أبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، دار الرسالة، بيروت،١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، ج١، ص٥٦٠.

(٥) - الخرائج والجرائح: الفقيه المحدث والمفسر الكبير أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بـ قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٧ هـ، ص١٩.

(٦) - التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي "ت٨١٦ه"، حققه وقدَّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، د. ط، د. ت، ص٢٨٢.

(٧) - المعجزة في فلسفة الدين عند هيوم: محمد فتح علي خاني، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، السنة الرابعة شتاء ٢٠١٩، ع١٨، ص١٦٨. نقلاً عن لوين ٢٠٠٥م، ص١ من ٢٩.

(٨) - خوارق العادات عند المسلمين: د. عبد الجليل إبراهيم حمادي الفهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٧٦. نقلا عن: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي.

(٩) - ينظر: المرجع نفسه، ص ص٧٦-٧٧.

(١٠) - صحيح مسلم: ج٤\٢٢٣٦، رقم (٢٩١٦).

(١١) - ينظر: إغواء العقل الباطن سيكولوجية التأثير العاطفي في الدعاية والإعلان، روبرت هيث، ترجمة محمد عثمان، مراجعة هاني فتحي سليمان، هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٦، ص ٧٨.

(١٢) - إغواء العقل الباطن سيكولوجية التأثير العاطفي في الدعاية والإعلان: روبرت هيث، ص٢٢.

(١٣) - تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: الراغب الأصفهاني، الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن المضّل: الباب الرابع عشر، منقولة عن نسخة خطية ومقابلة على نسخة أخرى كتبها لنفسه الشيخ رضي الدين بن أبي بكر الحلبي سنة (٦٩٣هـ) ومصححة في غاية الدقة والاعتناء بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري، بيروت، لبنان، ١٣١٩هـ، ص ص(٥٠-٥١).

(١٤) - الولاية التكوينية والولاية التشريعية للصديقة الطاهرة عليها السلام مقدمة كتاب فقه الزهراء عليها السلام: آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، هيئة محمد الأمين، بيروت، شبكة الفكر، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٠.

(١٥) - مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة ويليه الوراثة الاصطفائية: المحقق آية الله الشيخ محمد السند، بقلم السيد محمد علي الحلو، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢م- ١٤٣٣، ص٣٠٧.

(١٦) - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ج ٧، ص ١٢٣.

(١٧) - حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ج٤ ص٢٠٢. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية \ ar.lib.eshia.ir \.

(١٨) - المرجع نفسه، ج٤ ص٢٠٣.

(١٩) - الخرائج والجرائح: الفقيه المحدث والمفسر الكبير أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بـ قطب الدين الراوندي، ص٣٣٣.

(٢٠) - المرجع نفسه، ص ص٣١٢-٣١٣.

(٢١) - المرجع نفسه، ص٣١٣.

(٢٢) - المناقب مناقب آل أبي طالب: أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازنداني ت(٥٨٨هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، كربلاء، ج٣، ص٤٢٦. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية.

(٢٣) - الخرائج والجرائح: الفقيه المحدث والمفسر الكبير أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بـ قطب الدين الراوندي، ص٣٢٥.

(٢٤) - ينظر: باب الحوائج الأمام موسى الكاظم عليه السلام: حسين الحاج حسن، ج١، ص٣٠٢. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية.

(٢٥) - الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف البحراني، ج١٨، ص١٨٠. وينظر: مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٤١٧.

(٢٦) - مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٤١٧.

(٢٧) - المرجع نفسه: ج٣، ص ٤٢٢.

(٢٨) - الخرائج والجرائح: الفقيه المحدث والمفسر الكبير أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بـ قطب الدين الراوندي، ص٣٢٨.

(٢٩) - الإمام موسى بن جعفر الكاظم ورواياته الفقهية "دراسة تحليلية": تأليف د. عبد السادة محمد الحداد، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ط١، ٢٠١٥، ص ص٨٠-٨١.

(٣٠) - الخرائج والجرائح: الفقيه المحدث والمفسر الكبير أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بـ قطب الدين الراوندي، ص ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣١) - ينظر: الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية: الشيخ عباس القمي "ت١٣٥٩هـ"، ج١، ص ص١٩٦-١٩٧. نقلا عن موقع مكتبة الفقاهة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

*- إنجيل متى.

١- إغواء العقل الباطن سيكولوجية التأثير العاطفي في الدعاية والإعلان، روبرت هيث، ترجمة محمد عثمان، مراجعة هاني فتحي سليمان، هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٦.

٢- الإمام موسى بن جعفر الكاظم ورواياته الفقهية "دراسة تحليلية": تأليف د. عبد السادة محمد الحداد، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ط١، ٢٠١٥.

٣- باب الحوائج الأمام موسى الكاظم عليه السلام: حسين الحاج حسن، ج١. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية.

٤- التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي "ت٨١٦هـ"، حققه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، د. ط، د. ت.

٥- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: الراغب الأصفهاني، الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن المضّل، الباب الرابع عشر، منقولة عن نسخة خطية ومقابلة على نسخة أخرى كتبها لنفسه الشيخ رضي الدين بن أبي بكر الحلبي سنة (٥٦٩٣) ومصححة في غاية الدقة والاعتناء بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري، بيروت، لبنان، ١٣١٩ه.

٦- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف البحراني، ج١٨. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية \ ar.lib.eshia.ir \.

٧- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ج٤. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية \ ar.lib.eshia.ir \.

٨- الخرائج والجرائح: الفقيه المحدث والمفسر الكبير أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بـ قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٧ هـ.

٩- خوارق العادات عند المسلمين: د. عبد الجليل إبراهيم حمادي الفهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

١٠- صحيح مسلم (الجامع الصحيح): النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار الفكر، القاهرة- بيروت، ط١، ٢٠١٤.

١١- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي "ت١٧٥هـ"، دار ومكتبة الهلال، تحقيق د. مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي.

١٢-القاموس المحيط، الفيروز أبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٣-لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٤-المعجزة في فلسفة الدين عند هيوم: محمد فتح علي خاني، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، السنة الرابعة شتاء ٢٠١٩، ع١٨.

١٥-معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا "ت ٣٩٥هـ"، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٦- مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة ويليه الوراثة الاصطفائية: المحقق آية الله الشيخ محمد السند، بقلم السيد محمد علي الحلو، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢م- ١٤٣٣.

١٧- المناقب مناقب آل أبي طالب: أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازنداني ت(٥٨٨هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، كربلاء، ج٣. نقلا عن موقع مدرسة الفقاهة الإسلامية.

١٨- الولاية التكوينية والولاية التشريعية للصديقة الطاهرة عليها السلام مقدمة كتاب فقه الزهراء عليها السلام: آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، هيئة محمد الأمين، بيروت، شبكة الفكر، ط١، ٢٠٠٢.